والعمر اشبه بمرسح او ميدان صفّت حوله المقاعد والمجالس فيتصارع الرجال في ساحته ويتطاعنون ويقتل بعضهم بعضاً على ان النساء يجلسن في كراسيهنّ ويشاهدن ما يجري وجهد ما يلقين من العناء انهنّ يتزاحمن على المقاعد الامامية وغاية ما ينال المغلوبة منهنّ انها لا تجد لها كرسيًّا فتقف خلف المقعد الاخير بعيدة عمّا يتعرض لهُ المتبارزون من الموت او العار

ثم ذكر الكاتب بعض هموم النساء ومشاغلهنّ فقال ان منها هموم الزواج والازواج والاولاد والخدم والخياطات . ثم هموم العزوبة وما فيها من العزلة وما تجرهُ من الكآبة والسوداء فتشتغل الفتيات منهنّ بالمبرات . ومتوسطات الحال بالاقتصاد حتى تستفيد الواحدة من الدينار قدر ما تستفيد الغنية من خمسة دنانير . والفقيرات اما باحتراف الحرف واما بارتكاب المعاصي . ومن رأيهِ انهُ مهما كثرت هموم النساء ومشاغلهنّ فهي دون هموم الرجال ومشاغلهم

المرأة بين الغيرة والحبّ

وقف الرجل والمرأة في تاريخ الماضي وحوادث الحاضر والحكايات والروايات مواقف لا يشتبهها احد لعدوٍ فضلاً عن صديق — وقفا بين عاملين قويين تنازعاها وتجاذباها كقطعة حديد بين مغنطيسين متساويين في القوة لا يقوى احدهما على جذبها اليهِ الاَّ اذا قلَّت قوة الآخر او صارت اقرب اليهِ منها الى الآخر

في تاريخ الماضي وقف بطرس الاكبر بين عاطفتين شديدتين حبّ بلادهِ وحبّ ولي عهدهِ فقدم الاول على الثاني لما رأى ان حبّ ولي عهدهِ على ما كان بهِ من السفه والطيش والعناد يجرُّ على البلاد الخراب والدمار فامر بقتله برًّا بوطنهِ

وفي تاريخ الحاضر ذكروا ان امرأة يابانية كانت متزوجة بروسيّ فلما نشبت الحرب بين الروس واليابانيين باتت كمن بين نارين فاما حبّ الوطن واما حب الزوج فقدمت الاول قائلة الزوج والاولاد فداء البلاد وهجرت بيتها برًّا بشعبها

وفي الحكايات ان ملكاً حُكم على ولي عهدهِ بقلع عينيهِ فاما ان يعفو عن ابنهِ فيسخط العدل ويرضي الرحمة او ان ينفذ الحكم فيهِ فيرضي العدل ويسخط الرحمة ويحرم ابنهُ لذة بصرهِ فاختار الثاني ولكنهُ فقأ عيناً من عيني ابنهِ وعيناً من عينيهِ فوفق بين العدل والرحمة بما يرضيهما كليهما

وفي الرواية المعروفة باسم "غرام وانتقام" وقف بطل الرواية بين حب معشوقتهِ

والانتقام من ابيها قاتل ابيهِ فاختار الثاني دون الاول ولم يمنعهُ هوى حبيبتهِ عن الاخذ بالثار ازالة للعار

ومن اجمل ما ذكر من امثال هذه النوادر ما ورد في بعض المجلات من ان فتاة أُوقفت موقفاً حرجاً بين حب حبيبها وبين الغيرة عليهِ من بنات جنسها . ومتى عرفتَ ان الغيرة اظهر صفات المرأة واقوى العواطف المتسلطة عليها ادركتَ حرج موقفها وشدة حيرتها . وتحرير الخبر ان اميرة حبشية احبت فتى من رعايا ابيها فلما درى الملك بذلك استشاط غيظاً وحكم على محبوب ابنتهِ بان يقاد الى مشهد لهُ بابان مقفلان داخل احدهما وحش كاسر وداخل الآخر فتاة جميلة . ثم امرهُ بان يفتح الباب الذي يختارهُ فاذا كان وراءهُ الوحش مزقهُ اربا او كان وراءهُ الفتاة زوجهُ اياها حالاً واطلق سبيلهُ وعفا عنهُ

فخار الفتى في امرهِ وادار نظرهُ في جمهور المشاهدين حولهُ فوقعت عينهُ على عين الاميرة حبيبتهِ وكانت هي وحدها تعلم ما في كلٍّ من الغرفتين فأشارت اليهِ ذات اليمين ففتح الباب الذي هناك وماذا لقي —

هذه هي الحكاية وقد طلبت المجلة من قرائها ان يكتبوا اليها آراءهم في المسألة — هل دلت الاميرة حبيبها على الباب الذي كان الوحش وراءهُ فلقي حتفهُ او دلتهُ على الباب الذي كانت الفتاة الجميلة وراءهُ فتزوج بها . وبعبارة اخرى هل تغلب حب الاميرة لحبيبها على غيرتها من الفتاة الجميلة التي اختارها ابوها ليزوجهُ اياها فدلتهُ على الغرفة التي كانت الفتاة فيها فتزوجها . او تغلبت غيرتها على حبها فدلتهُ على الغرفة الاخرى حيث افترسهُ الوحش الضاري مفضلة موتهُ على تزوجهِ بفتاة اخرى غيرها

فلبى الكتّاب دعوتها رجالاً ونساء وتباروا في هذا الميدان فانقسموا فريقين فمن ذاهب الى ان الاميرة دلت حبيبها على باب نجاتهِ ومن ذاهب الى انها دلتهُ على باب حتفهِ . واكثر الكاتبات من الفريق الاول وحجتهن في ذلك انهُ وان تكن الاميرة حبشية وليست على درجة سامية من التمدن والحضارة فانهُ لا يهون عليها ان ترى حبيبها يمزق اربا امام عينيها . وهاك بعض ما قيل دفاعاً عن المذهب الاول . قالت احدى السيدات : —

في رأيي ان الاميرة دلت حبيبها على الباب الذي خرجت الفتاة منهُ لانها اذا كانت مخلصة في حبها لهُ ضحّت كل شيء لتفتديهُ وتنقذهُ

وقالت اخرى انهُ وان كان اقتران حبيب الاميرة بغيرها مما يهيج كوامن غيرتها الى حد الجنون الاّ انها لا بدَّ ان تكون قد قالت في نفسها ما دمتُ في قيد الحياة فنصيحة الاهل

واسعة امامي . ولا يبعد ان تفعل كلَّ ما في وسعها بعد ذلك للفصل بين حبيبها ومناظرتها اما بابعادها الى خارج البلاد او بواسطة اخرى

وقال كاتب اري ان الاميرة عقدت نيتها على انقاذ حبيبها فلا تفقدهُ بوقوعهِ بين براثن الوحش المفترس وان كان انقاذها لهُ يعد خسارة لها من جهة اخرى باقترانهِ بفتاة غيرها . والسبب في عقدها النية على تخليصهِ علمها انهُ وان تزوج غيرها لم يمنعهِ العمر عن ان يحلها المحلَّ الاول من قلبهِ وهذا مما يعزيها لانهُ ما من شيء تطمح المرأة اليهِ في هذا العالم الفاني اعظم من ان يكون لها المقام الاول في قلب رجل قوي الارادة كريم الاخلاق . وهي لا تخشى ان تفقد مكانتها عندهُ علمًا منها بميل الرجل ميلاً فطريًّا الى الارتقاء في المناصب . ثم انها تؤمل ان تموت زوجتهُ فتتزوجهُ بعد موت ابيها وهذا الأمل يوسع مجال العيش في عينها ويمكنها من احتمال المحنة بالصبر والسكينة

وقال آخر ان الغيرة قد تكون اشدَّ من الحبِّ ثورة ولكن الحبَّ يتغلب عليها اخيرًا فلو كانت الفتاة قد اجتذبت حبيب الاميرة اليها بمحاسنها وفتنتهُ عنها بدهائها وحيلها لتغلبت الغيرة على الحب . وهو لم يسئ اليها وانما اساء اليها ابوها بالحكم الذي حكم بهِ على الشاب

وهاك بعض ما قيل دفاعًا عن المذهب الثاني . قالت احدى السيدات

لا ريب عندي ان الاميرة دلَّت الشاب على باب الهلاك لانها حبشية نزقة الطبع فائرة الدم لا تطيق ان ترى ضرة لها شأن الاميرات غير المتمدنات ولو كانت متمدنة لكان الامر على خلاف ذلك

وقال كاتب لقد علمت باختبار احوال الناس وسبر قلوبهم وخصوصًا قلوب النساء ان الحب والغيرة اسمان لمسمًّى واحد . وكثيرات من النساء يفضلن ان يرين احباءهنَّ امواتًا على ان يتزوجوا غيرهنَّ اذ لا بغض اشدَّ من بغض المرأة للمرأة فلا غرابة اذا سلَّت الاميرة حبيبها الى الهلاك عفوًا واغتباطًا . وقال آخر ان غيرة المراة اشدُّ وطأة من حبها

ومن الكتَّاب من مزج المزح بالجد فقال ان الاميرة دعت مدير معرض الحيوانات اليها وطلبت منهُ ان يضع في احدى الغرفتين نمرًا كان حبيبها قد رباهُ وعلمهُ الصراع وصارعهُ مرارًا في المرمح امام ابيها وغيرهِ من المشاهدين . فلما أُطلق عليهِ لم يمسَّهُ بسوء بل جعل يدور حولهُ مترددًا اليهِ ثم انقلب على جنبهِ كأنهُ ميت . فلما رأى ابو الاميرة ذلك دهش فزوج الشاب ابنتهُ باحتفال حافل